مؤسسة التحايا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ



إنتاج : مؤسسة الملاحم للإنتاج الإعلامي

النوع : إصـــدار صـــوتي

المدة : 43 دقيقة

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ الكلمة الصوتية

هم وهمة

للشيخ / خالد باطرفي (حفظه الله)

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وقائد الغرّ المحجّلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد؛

فإنه لا بد للإنسان الحي من هم يشغل تفكيره ويلازم حياته ويسعى لتحقيقه والوصول إليه ولو كلّفه ذلك أشد التكاليف. وهذا الهم إما أن يكون دينيًا شرعيًا وإما أن يكون دنيويًا. وما نريد تسليط الضوء عليه والحديث عنه في هذه الكلمات هو الهم الديني الشرعي. وهو الهم الذي إن صحّ وصلح أفلح صاحبه في الدنيا والآخرة وكان سعيه مشكورًا. وإن فسد خسر صاحبه في الدنيا والآخرة وكان سعيه مذمومًا.

قال الله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسراء: ١٨، ١٩]. قال ابن كثير –رحمه الله–: "وقوله ومن أراد الآخرة أي أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور، وسعى لها سعيها أي طلب ذلك من طريقه وهو متابعة الرسول ﷺ. وهو مؤمن أي وقلبه مؤمن. أي مصدق بالثواب والجزاء. {فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} [الإسراء: ١٩]". اهـ.

وقال ابن عطية –رحمه الله–: "وقوله {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ} [الإسراء: ١٩] الآية. المعنى ومن أراد الآخرة إرادة يقين بها، وإيمانًا بها، وبالله وبرسالاته. قال القاضي أبو محمد: وذلك كله مرتبط متلازم. ثم شرط في مريد الآخرة أن يسعى لها سعيها وهو ملازمة أعمال الخير وأقواله على حكم الشرع وطرقه، فأولئك يشكر الله سعيهم. ولا يشكر الله عملًا ولا سعيًا إلا أثاب عليه وغفر بسببه". اهـ.

وقال ابن عاشور رحمه الله في التحرير والتنوير: قسم لم يرد إلا الدنيا فكانت أعماله لمرضاة شهواته معتقدًا أن الدنيا هي قصارى مراتع النفوس لا حظ لها إلا ما حصل لها في مدة الحياة؛ لأنه لا يؤمن بالبعث فقصر عمله على ذلك. وقسم علم أن الفوز الحق هو فيما بعد هذه الحياة فعمل للآخرة مكتفيًا ما هداه الله إليه من الأعمال بواسطة رسله. وأن الله عامل كل فريق بمقدار همته". اهـ

وإن الساعين في تحقيق هذا الهم الديني الشرعي في زماننا هذا والذي هو تحقيق التوحيد والدعوة إليه ورفع الحواجز بينه وبين الخلق عامة وكسر شوكة الطاغوت أيًا كان هذا الطاغوت من حجر أو شجر أو برلمان أو دولة أو جيش أو شخص أو غيره من الطواغيت.

هؤلاء الساعون لهذا المطلب على أنواع؛ فساع إليه عبر طرق غير شرعية، بل ومخالفة للشرع ومصادمة له. وساع إليه عبر طرق شرعية لكنها لا تحقق المقصود ولا توصل للغاية. وساع إليه عبر طرق شرعية محققة للمقصود لكنه ضعيف الهمة، قاصر الحركة، متعجل في قطف الثمرة قبل نضوجها. وساع إليه عبر طرق شرعية محققة للمقصود وله همة عالية وحركة راقية متأن مكيث.

وهذا النوع الأخير هو مقصدنا وهو ما نود في هذه الكلمات أن ندع العاملين لتحقيق هذا المطلب أن يقتدوا ويقتفوا أثره. وخير مثال لهذا النوع المحمود الممدوح هو نبينا محمد عليه أفضل صلاة وأتم تسليم. وهو الداعية الأول إلى الله تعالى وإلى توحيده. وهو الذي حمل همّ التوحيد والدعوة إليه من أول لحظة من بعثته إلى أن توفاه الله تعالى بأبي هو وأمي صلوات ربي وسلامه عليه.

وإليك أيها العامل لدين الله بعض صور الهم الذي حمله رسول الله ﷺ وهمته التي بها تحقق هذا الهم وأصبح حقيقة. ورب هم أوقد همة، ورب همة أحيت أمة.

فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: لما نزلت هذه الآية {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤] صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا. فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو. فجاء أبو لهب وقريش فقال رسول الله ﷺ أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقًا. قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب تبًا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} [المسد: ١، ٢].

وفي مقابلة جمع كهذا، وطرح قضية كهذه، ومفارقة الأهل والأقارب من اجلها أمر تهابه النفوس الضعيفة، وتستثقله الهمم الهابطة، التي أرادت أمر الدعوة ونشر التوحيد رحلة سهلة مسلية، لا تتخللها الصعاب والمشاق!

فصلى الله وسلم على نبينا محمد، كم عانى وتحمل من أجل هم نشر التوحيد والدعوة إليه. ومع ما وجده –عليه الصلاة والسلام– من أذى وتكذيب من أقرب الناس إليه إلا أنه ما خبى همه ولا قصرت همته عن إكمال مشوار الدعوة إلى الله، بل ما زاده ذلك إلا إصرارً وثباتًا.

فعن ربيعة بن عباد الديلي قال: إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضيء الوجه ذو جمة يقف رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول " يا بني فلان إني رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به " وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه يا بني فلان هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه فقلت لأبي من هذا ؟ قال عمه أبو لهب.

سنده حسن.

قال سيد قطب –رحمه الله– في قول الله تعالى {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ} [فصلت: ٦]. يا لعظمة الصبر والاحتمال والإيمان والتسليم! إنه لا يدرك ما في الصبر على هذه الحال والتبرؤ من كل حول وقوة في مثل هذا الموقف، واحتمال الإعراض والتكذيب في تبجح واستهتار، دون استعجال الآية التي تردع المعرضين المكذبين المستهترين. إنه لا يدرك ما في الصبر على هذا الحال من مشقة، ومن عظمة في احتمال هذه المشقة، إلا من يكابد طرفاً من هذا الموقف في واقع الحياة. ثم يمضي في الطريق!

ومن أجل هذا الموقف وأمثاله كان التوجيه إلى الصبر كثير الورود للأنبياء والرسل. فطريق الدعوة هو طريق الصبر. الصبر الطويل. وأول ما يستوجب الصبر تلك الرغبة الملحة في انتظار الدعوة، ثم إبطاء النصر. بل إبطاء أماراته. ثم ضرورة التسليم لهذا والرضى به والقبول!". اهـ

وقد حاول أعداء الله أن يساوموا رسول الله ﷺ في أمر التوحيد والدعوة إليه ونشره ولكنه أبى وامتنع وآثر الجهد والمشقة والأذى والابتلاء على أن يداهن ويساوم ويرضى الدنية في دينه عليه أفضل صلاة وأتم تسليم.

قال تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} [الإسراء: ٧٣ - ٧٥]. وقال تعالى: {فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم: ٨، ٩].

وقد روى ابن إسحاق –رحمه الله– قال وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال حُدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدًا قال يومًا وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة –رضي الله عنه– ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون فقالوا بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه.

فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد ، أسمع ؛ قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ؛ وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له.

حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني؛ قال: أفعل؛ فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه. فلما سمعها منه عتبة، أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه؛ ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها، فسجد ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت، فأنت وذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة. يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم. حسنه الألباني في فقه السيرة.

فأين هذه الهمة النبوية الشامخة من أولئك الذين سلكوا سبل الشيطان، الذي جعلوا الغاية عندهم تبرر الوسائل الشيطانية وزعموا أنهم يريدون التمكين لدين الله، وتطبيق شرعه في الأرض، فداهنوا طواغيت المشرق والمغرب والعرب والعجم، فدخلوا برلمانات الشرك والتشريع من دون الله، وجاوروا فيها العلمانيين والشيوعيين والنساء السافرات وكل عدو للإسلام! وجرّموا في المقابل دعاة التوحيد والمنكرين عليهم، وسفّهوا طرقهم الربانية النبوية في إنكار شرك الديمقراطية ونظامها الكفري بالبراءة من الطواغيت وتبيين كفرهم وجهادهم بالسيف والسنان والحجة والبيان.

فليعتبروا من هذا الهدي النبوي الشريف في الوسيلة الشرعية للتمكين لدين الله باتباع الكتاب والسنة في الدعوة إلى الله. فلم يقل -عليه الصلاة والسلام- بعد هذه العروض التي عرضها عتبة بن ربيعة أقبل المال أو الشرف أو الملك ثم بعد ذلك أفرض عليهم الإسلام. وذلك بأنه يعلم -عليه الصلاة والسلام- أن الطريق للتمكين لدين الله لا يأتي بهذه الوسائل. ويعلم أن الأعداء لا يهمهم إعطائه هذه العروض إلا إذا ترك الدعوة إلى التوحيد ونشره بينهم. وإذا لم يترك ذلك ويتنازل عنه فسيأخذون منه ما أعطوه، وأنهم ما أرادوا بهذه العروض إلا تقييده وإسقاطه بين الناس، وأنه ما أراد بهذه الدعوة إلا عرضًا من أعراض الدنيا.

ولينظر هؤلاء المغرورون إلى قصص وسير الأنبياء عليهم السلام وكيف عانوا في دعوة أقوامهم وماذا كانت النتائج. قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا

لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩) أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ} [الأنعام: ٨٩، ٩٠]. وقال تعالى: {وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} [هود: ١٢٠ - ١٢٢].

وقد وجد –عليه الصلاة والسلام– أصنافًا من العذاب والأذى من قومه ومع ذلك لم يجعله هذا الأذى والعذاب= يستعجل إنزال العقوبة بهم ولا دعاه ذلك للانتقام منهم بنفسه ولم يزل همه الأول هو هداية الخلق وله همة الجبال وأعظم منها في ذلك فداه نفسي وما في الأرض جميعًا.

روى عروة بن الزبير –رحمه الله– أن عائشة –رضي الله عنها– زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا.

واستمر –عليه الصلاة والسلام– في دعوته ولم ييأس صابرًا مثابرًا وأحزنه عدم استجابة كثير منهم فأنزل الله عليه: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٣]. قال ابن كثير –رحمه الله–: وهذه تسلية من الله لرسوله ﷺ في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار كما قال تعالى: {فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ} [فاطر: ٨]، وكقوله: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ} [الكهف: ٦] الآية. قال مجاهد وعكرمة وقتادة وعطية والضحاك والحسن وغيرهم: لعلك باخع نفسك أي قاتل نفسك. اهـ

وعندما تيقن –عليه الصلاة والسلام– أن قريشًا لن يؤمنوا به ولن يؤووه وينصروه ويكونوا حاضنة لدعوته لم ييأس، ولم ينثن عن تحقيق همه، وعلو همته، فقام يبحث عمن يؤويه وينصره ليحقق هذا الهم العظيم، فامتنعت

القبائل والأقوام عن القيام بهذا الواجب حتى أكرم الله عباده الأنصار من الأوس والخزرج بشرف الإيواء والنصرة فكانوا خير من قام بهذا العبء العظيم فجزاهم الله خير الجزاء.

فعن جابر –رضي الله عنه– قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشًا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي. قال فأتاه رجل من بني همدان فقال أنا. فقال وهل عند قومك منعة؟ قال نعم. وسأله من أين هو. فقال من همدان. ثم إن الرجل الهمداني خشي أن يغفره قومه فأتى رسول الله ﷺ فقال آتي قومي فأخبرهم ثم ألقاك من عامي القادم. فانطلق فجاء وفد الأنصار في رجب. قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وصححه الألباني في فقه السيرة.

مع ما في الخروج من مكة والهجرة منها من شدة ومشقة على نفسه –عليه الصلاة والسلام– ونفس صحابته –رضي الله عنهم–. روى الترمذي وماجة وغيرهما عن عبد الله بن عدي بن الحمراء قال رأيت رسول الله ﷺ وهو على ناقته واقف بالحزورة يخاطب مكة يقول والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلي. والله لولا أني أُخرجت منك ما خرجت. وفي هذا الحديث دليل واضح على مشقة فراق مكة على رسول الله ﷺ.

ولكن الهمّ الذي كان يحمله، والهمة المتقدة بين جوانحه لتحقيق همه جعله يضحي بالبقاء في مكة في سبيل تحقيق همه –عليه الصلاة والسلام–. فأين هؤلاء الذين يؤثرون ما هو أدنى من ذلك على أمر التوحيد والدعوة إليه وتحمل الأذى في سبيل تبليغه، بل ويقولون الباطل ويقفون في صفه، ويداهنون في دين الله الطواغيت وأعوانهم، ويحاربون أولياء الله من الدعاة والعلماء المخلصين والمجاهدين الصادقين كما نحسبهم والله حسيبهم. ثم يسمون أنفسهم دعاة وعلماء وربانيين وحاشا لله أن يكونوا كذلك! فهم أبعد الناس عن هذه الأوصاف الجليلة في ديننا. وهم أقرب أن يكونوا مم وصفهم الله فقال: {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [التوبة: ٩].

وهاجر رسول الله ﷺ وهجر الراحة والسكون في سبيل الله وفي سبيل تحقيق همه بنشر التوحيد والدعوة إليه.

وبدأ جهاد الأعداء وأئمة الكفر، ولم ينشغل بمعارك جانبية تؤخره عن كسر شوكة رأس الكفر آنذاك قريش التي بكسرها وزوالها يزول الشرك، ويضعف في نفوس أتباعه. مع ما كان يواجهه –عليه الصلاة والسلام– من

معوّقات ومعارك داخلية وخارجية مع اليهود والمنافقين وضعاف النفوس في المدينة ومع اليهود وغير قريش من المشركين خارج المدينة. وهو ما تمثله اليوم أمريكا ونظامها العالمي، والتي بفضل الله ثم بضربات المجاهدين الصادقين باتت تترنح، وستهوي عما قريب بإذن الله تعالى.

وإني أدعو المجاهدين في كل مكان القادرين على ضرب أمريكا رأس الكفر اليوم، أن يركزوا ضرباتهم عليها ولا يتوانوا في ذلك، ولا ينشغلوا بمعارك جانبية عن حسم معركتنا مع هبل العصر أمريكا. بل كل مسلم يجب ألا يألوا جهدًا في ضربها ما استطاع لذلك سبيلًا. وخاصة المسلمون في الغرب وفي أمريكا نفسها.

وليعلم الجميع أن بوابة تحرير المسجد الأقصى وإخراج المشركين من جزيرة العرب وإقامة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة وتحرير الأمة من الطواغيت من بني جلدتنا بإذن الله هو بهزيمة أمريكا ودحرها بإذن الله تعالى. قال الله -عزَّ وجلَّ-: {فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ} [التوبة: ١٢]. وقال تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} [التوبة: ١٤، ١٥]. وقال تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا} [النساء: ٨٤].

وقد غزى رسول الله ﷺ وجاهد بنفسه وأرسل السرايا بقيادة أصحابه -رضي الله عنهم- وزرع الثقة فيهم، فهزم قريشًا في بدر، وابتُلي وأصحابه بالهزيمة في أحد {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ} [الأحزاب: ٢٥] في الخندق، وتخلل هذه المعاركة والغزوات معارك داخلية مع اليهود والمنافقين. فكانت غزوة بني قينقاع وغزوة بني النضير وغزوة بني قريظة مع اليهود، فقتل من قتل منهم، وأجلى من أجلى منهم.

وحاول المنافقون أن يزعزعوا الصف ويفقدوا الثقة في القيادة فتارة يقولون: {لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ} [المنافقون: ٨]. وتارة يقولون: {لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا} [المنافقون: ٧]. وتارة يقولون: ما نرى مثل قراءنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء.

أما حديث الإفك وما أدراك ما حديث الإفك وما نال نبينا -عليه الصلاة والسلام- وآل بيته الأطهار الطيبين وخاصة أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- والصديق أبا بكر -رضي الله عنه- من أذى المنافقين ومن سمع

لهم من المؤمنين ووقع في حبائل مكرهم وخبثهم، ومع هذا فكان رسول الله -ﷺ- يتعامل في هذه الظروف بأحكم وأفضل التعامل، حتى لا تقوم فتنة في المدينة يستفيد بها الأعداء والمتربصون به وبدعوته. وحتى لهؤلاء المنافقين سبيلًا على المسلمين من المهاجرين والأنصار. وسنروي بعض قصصه معهم وطريقة تعامله مع ما كانوا يثيرونه من فتن.

تقول عائشة -رضي الله عنها- في حادثة الإفك والذي تولى كبرها عبد الله بن أبي بن سلول المنافق كما في الصحيحين فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول. قالت فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني في رجل قد بلغ أذلاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلًا ما علمت عليه إلا خيرًا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي.

فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال يا رسول الله أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله. فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنّه فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فتثاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا. ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت.

قال ابن حجر -رحمه الله-: وفيه الندب إلى قطع الخصومة وتسكين ثائرة الفتنة وسد ذريعة ذلك واحتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما وفضل احتمال الأذى. اهـ

وقال النووي -رحمه الله- في معرض ذكر فوائد الحديث: الفائدة السادسة والثلاثون: المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات ولمنازعات وتسكين الغضب. اهـ

وفي هذا الموقع العظيم من نبينا -عليه الصلاة والسلام- عبرة وعظة للدعاة والمجاهدين الذين يسعون للتمكين لدين الله تعالى، فها هو -عليه الصلاة والسلام- يكظم غيظه ويتحمل أذى المنافقين في الطعن في عرضه الشريف ويسد ذريعة فتنة الاقتتال بين الصحابة من الأنصار -رضي الله عنهم- وليس ذلك إلا من أجل

الإسلام ودعوة التوحيد التي يريد لها أن تقوم ويشتد ودها وتقوى شكتها. والتي لا يمكن أن يكون لها ذلك إلا بقوة الصف الإسلامي الداخلي وعدم وجود الفتن بين رجاله ومناصريه.

وأما إثارة الفتن وشق صفوف العاملين للتمكين لدين الله، وعدم التعامل مع ما يوقعه المنافقون والحاقدون بفقه وحكمة، ومراعاة لمقاصد الشريعة ودرأ المفاسد وجلب المصالح حسبما تقتضيه مصلحة الإسلام والتمكين له لا على حسب الأهواء ومصلحة الحزب أو الجماعة أو التنظيم أو قائد ننصّبه ونوالي ونعادي عليه. قال تعالى: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦].

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله– في أضواء البيان: قوله تعالى {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: ٤٦] الآية نهى الله جل وعلا المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن التنازع مبينًا أنه سبب الفشل وذهاب القوة، ونهى عن الفرقة أيضًا في مواضع أخر كقوله: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣] ونحوها من الآيات. وقوله في هذه الآية {وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: ٤٦] أي قوتكم. اهـ

وقال سيد قطب –رحمه الله– في ظلال القرآن: وأما طاعة الله ورسوله فلكي يدخل المؤمنون المعركة مستسلمين لله ابتداءً فتبطل أسباب النزاع التي أعقبت الأمر بالطاعة {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: ٤٦] فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار. فإذا استسلم الناس لله ورسوله انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم، مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة. فليس الذي يصير النزاع هو اختلاف وجهات النظر إنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها. وإنما هو وضع الذات في كفة والحق في كفة وترجيح الذات على الحق ابتداءً.

ومن ثم هذا التعليم بطاعة الله ورسوله عند المعركة إنه من عمليات الضبط التي لا بد منها في المعركة إنها طاعة القيادة اعليا فيها التي تنبثق منها طاعة الأمير الذي يقودها، وهي طاعة قلبية عميقة، لا مجرد الطاعة التنظيمية في الجيوش التي لا تجاهد لله، ولا يقوم ولائها للقيادة على ولائها لله أصلًا والمسافة كبيرة كبيرة. وأما الصبر فهو

الصفة التي لا بد منها لخوض المعركة، أية معركة، في ميدان النفس أم في ميدان القتال {وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦]. اهـ

ومن مواقف المنافقين ومحاولاتهم لزعزعة الصف وزرع الفتن فيه ما جاء في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري يا للمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال ما بال دعوى الجاهلية. فقالوا كسع رجل من المهاجرين رجلًا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين. فقال النبي ﷺ دعوها فإنها منتنة. قال جابر وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر، ثم كثر المهاجرون بعد.

فقال عبد الله بن أبي أوقد فعلوا؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق. قال النبي ﷺ دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه.

وقد أنكر عدو الله مقالته هذه أمام النبي -عليه الصلاة والسلام- مع أن زيد بن الأرقم -رضي الله عنه- شهد عليه. وصدّقه الله تعالى في القرآن. فترك رسول الله ﷺ معاقبته لما قد تحدثه من فتنة في داخل الصف. مع علم رسول الله ﷺ بالوحي أنه منافق، ومع ما يقع منه في بعض الأحيان من تصريحات أمام بعض الصحابة تظهر حقده وحنقه على النبي ﷺ وعلى الإسلام.

وكان يقول -عليه الصلاة والسلام- دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه. وهذا مراعاة لعدم تنفير الكفار عن الدين. فكيف من ينفر المسلمين من دعوة الحق ومن طريق التوحيد والجهاد اليوم بأفعال هو قادر على الاستغناء عنها بغيرها. وقد كان رسول الله -عليه الصلاة والسلام- يعلم مكانة هذا المنافق بين قومه من الأنصار فكان يخشى أن يتصرف معه تصرفًا يتسبب في انحياز قومه له فتقوم فتنة داخلية بين المسلمين من الأنصار فيما بينهم، وبين المسلمين من المهاجرين والأنصار، فيستفيد من ذلك أعداء الإسلام. مع أن رسول الله ﷺ مؤيد من الله. ومع أن عبد الله بن أبي منافق معلوم النفاق، ومن معه منافقون.

فكيف بمن بتصرفاته الرعناء الهوجاء يتسبب في ردة بعض المسلمين وانحيازهم لأعداء الدين، وإنشاء الصحوات بالمصطلح العصري؟! بل وأبعد من ذلك يتهم من يظهر الإسلام بل وجهاد الأعداء بأنه من المرتدين ويستحلّ بعد ذلك دمه وماله! وهل هذا الفعل إلا من أفعال الغلاة والخوارج أجارنا الله من مشابهتهم؟!

ومن نصحهم وأنكر عليهم خوّنوه واتهموه في دينه، وأسقطوا مكانته كائنًا من كان. ومن سكت على باطلهم وأيّد أفعالهم رفعوه وسوّدوه ولو كان من الضلال والفسّاق والمبتدعة. {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} [النساء: ٦٦].

ولو أنهم صبروا وتأنّوا ولم يستعجلوا قطف الثمار قبل نضوجها، ووجهوا سهامهم ضد رأس الكفر وطاغوت العصر أمريكا وعملائها، واستمروا في إكمال مشروع قادة الجهاد الصادقين كما نحسبهم ممن قضى نحبه وممن ينتظر ولم يبدل تبديلًا نسأل الله لنا ولهم الثبات لوصلوا للهدف وحققوا المطلب وفُضح أعداء الإسلام للأمة جمعاء.

كما حصل ذلك مع المنافقين في عهد رسول الله ﷺ بعد صبره وحكمته معهم في بداية الأمر حتى ظهر أمرهم وبان شرهم للمسلمين جميعًا. قال تعالى: {لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ} [التوبة: ٤٨].

قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر أن عبد الله بن عبد الله بن أبي أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت لا بد فاعلًا فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار. فقال رسول الله ﷺ بل نترفّق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا.

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه يعنّفونه. فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب –رضي الله عنه– حين بلغه ذلك من شأنهم كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله

لأرعدت له آنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته. قال قال عمر قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري. سنده ضعيف.

وما زال -عليه الصلاة والسلام- يحمل همه ويسعى لتحقيقه بهمته العالية حتى ضعفت قوة راعية الشرك قريش آنذاك، واضطرت لإبرام صلح الحديبية معه. واستغلّ ذلك رسول الله ﷺ في دعوة الأمم وراسل ملوك الأرض بالدعوة إلى التوحيد وجاهد وأدّب باقي فروع الكفر في الجزيرة من اليهود وقبائل العرب. ولم يزل على ذلك حتى نقضت قريش العهد فغزاها في عقر دارها. ففتح مكة، وكسر الأصنام، وجاءته وفود العرب مسْلِمة مُسَلِّمَة وقويت شوكة الإسلام وانتشر التوحيد في جزيرة العرب، وبدأ بالغزو خارج الجزيرة كما في تبوك حين غزا الروم، فلم يخرجوا له خوفًا ورعبًا من الهزيمة. فرجع منصورًا مظفّرًا.

ولم يزل مشفقًا حريصًا على أمته راجيًا من الله أن يرحمها وألا يعذبها كما روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ تلا قول الله -عزّ وجلّ- في إبراهيم: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي} [إبراهيم: ٣٦] الآية. وقال عيسى عليه السلام: {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة: ١١٨]. فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى. فقال الله -عزّ وجلّ-: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك. فأتاه جبريل -عليه الصلاة والسلام- فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم. فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نَسُوءُكَ.

بل أعظم من ذلك، ففي عرصات القيامة في يوم يشيب لهوله الولدان، يقف -عليه الصلاة والسلام- موقفًا عظيمًا مشفقًا رائفًا راحمًا بأمته كما في حديث أنس بن مالك الطويل وفيه: فأنطلق فأستأذن على ربي فيُؤذن لي، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله ثم أخرّ له ساجدًا فيُقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تُشفع. فأقول ربي أمتي أمتي. فيُقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها. فأنطلق فأفعل. ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد ثم أخرّ له ساجدًا فيُقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تُشفع. فأقول أمتي أمتي. فيُقال لي انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها. فأنطلق فأفعل ثم أعود إلى ربي فأحمده

بتلك المحامد ثم أخر له ساجدًا فيُقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعط واشفع تُشفع. فأقول يا رب أمتي أمتي فيُقال لي انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل. أخرجه مسلم في صحيحه.

فهذا رسول الله ﷺ الذي حمل الهم وحققه بهمة عالية. وقد أمرنا باتباعه والسير على هديه في غير موضع من كتاب الله تعالى حيث قال الله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران: ٣١]. وقال تعالى: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النور: ٥٤]. وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩]. وغير ذلك من الآيات وهي كثيرة.

فعلى الدعاة والمجاهدين أن يقتدوا به ويطيعوه ويقتفوا أثره في الدعوة إلى الله ونشر التوحيد والتمكين لدين الله تعالى والتعامل مع الناس في السلم والحرب، والتعامل مع أصناف البشر من المسلمين والكافرين، ويكون لهم من الدعاة والمجاهدين الذين ساروا على نهجه واقتفوا أثره من السلف والخلف أسوة حسنة.

اللهم اجعلنا من أتباع نبيك ﷺ متبعين لسنته مطيعين لأمره، متأسّين بهديه غير مبدلين ولا مستبدلين.

اللهم وحّد صفوف الدعاة والمصلحين والمجاهدين واجعلهم هداة مهتدين، واهد بهم يا رب العالمين. وأصلح أحوال أمتنا وانصرها نصرًا عزيزًا قريبًا مؤزرًا يا قادر يا متين.

والحمد لله رب العالمين.

وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.